مجلة المجمع العلمي

لاميةُ العربِ بينَ النفي والاثباتِ

الدكتورعبد اللطيف حمودي الطائي

جامعة بغداد – كلية الآداب

الملخص :

تعــدُّ لامية العرب من غــُرر القصائد الجاهلية وعيونها ، التي صورت حياة الإنسان العربي في صحراءٍ مترامية الأطراف ، قلَّ ماؤُها وعشبُها ، وعانى سكانها من شظف العيشِ وضنكهِ ، فهيَ خيرُ مثالٍ على تلك الحياة القاسية ، والقصيدة أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، وهي من بنات أفكار الشاعــر الفاتك ، الصعلوك الشَنــْفَرَى الأزْدي ونظمهِ ، ومطلعها هو :

أقِيمُوا بَني أُمِي صُدورَ مَطِيَكُمُ فإنــِّي إلى قَوْمٍ سِواكُمُ لأمْيَلُ

لقد اختلفت المصادر في نسبة هذه القصيدة وتقاطعت ، وظلت تتأرجح بين من يعزوها للشاعر الصعلوك الشنفرى الأزْدي ، وبين من يقول : صنعها خلف الأحمر ونحلها للشنفرى ، وسأقوم بجمع الأقوال التي تعزو اللامية للشنفرى والآراء التي تقول صنعها خلف الأحمر ونحلها الشنفرى في ملف واحد وبعد المدارسة والتحليل سأعزو اللامية لقائلها الحقيقي .

المقدمـــة :

تعــدُّ لامية العرب من غــُرر القصائد الجاهلية وعيونها ، التي صورت حياة الإنسان العربي في صحراءٍ مترامية الأطراف ، قلَّ ماؤُها وعشبُها ، وعانى سكانها من شظف العيشِ وضنكهِ ، فهيَ خيرُ مثالٍ على تلك الحياة القاسية ، والقصيدة أشهرُ من علمٍ في رأسهِ نارُ ، وهي من بنات أفكار الشاعــر الفاتك ، الصعلوك الشَنــْفَرَى الأزْدي ونظمهِ ، ومطلعها هو :

أقِيمُوا بَني أُمِي صُدورَ مَطِيَكُمُ فإنــِّي إلى قَوْمٍ سِواكُمُ لأمْيَلُ

لقد اختلفت المصادر في نسبة هذه القصيدة وتقاطعت ، وظلت تتأرجح بين من يعزوها للشاعر الصعلوك الشنفرى الأزْدي ، وبين من يقول : صنعها خلف الأحمر (ت 180هــ) ونحلها الشنفرى ، وذلك لأسباب كثيرة لسنا بصدد الخوض في غمارها ، ولكن يمكننا القول : إنَّ عدم انصياع خلف الأحمر لرغبات الخلفاء العباسيين وأمرائهم ، ورفضه مدحهم وحضور مجالسهم ، شأنهُ شأنُ معاصرهِ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هــ) ، الذي رفض الرضوخ لرغبات العباسيين ومطالبهم ، وبسبب هذا الرفض ، تصدى لهُ الرواة من ذوي النفوس المريضة ، وأصحاب الضمائر الضعيفة والميتة ، ممن يلهثون وراء المال والشهرة الزائفة وإرضاء الحكــّام ، فباعوا ضمائرهم ومهنتهم الشريفة بثمن بخس ، فأخذوا على عاتقهم تشويه سمعة خلف الأحمر ومكانته ، وتصويره للجمهور ، وتقديمه على خلاف حقيقته ، فوضعوا على لسانهِ ما لم يصح

قوله من مثل قوله [1] : (كنتُ آخذُ من حمّاد الراوية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبلُ ذلك مني ويدخله في أشعارها) ، هذه الرواية ساذجة ومتكلفة ، والوضع فيها واضح مكشوف يكاد يصرخ بوجه قارئه قائلا : أنـــّها موضوعة ومفتراة ، فكيف يأخذ الصحيح من الأشعار ويعطيه المنحول ؟ وكيف يقبل الرواة بعد ذلك الأخذ برواياته ؟ إذا علمنا أنَّ خلفا هو معلمهم [2] ، فإذا كان حال المعلم هكذا ! فما بالك بتلاميذه من الرواة ، فهم أيضا وضّاعون ، ليسوا بثقة ، والواقع يشير إلى خلاف ذلك ، فرواة البصرة ، هم أكثر الرواة توثيقا ، ثُمَ هل يعقل أنَّ رجلا صاحبُ بضاعةٍ يقول للناس : بضاعتي سيئة ورديئة فلا تشتروها ؟ وهذا يؤكد أنَّ الرواية موضوعة ، وليست صحيحة ، وهذا هو معنى القول المنسوب لخلف الأحمر ، ولست هنا بصدد تبرئة خلف الأحمر بما علق به من تهمٍ زائفةٍ ومفتراة ، بقدر ما يعنيني إثبات اللامية للشنفرى ، ولكنـــّي أقول : إنـــّي كتبتُ بحثا نشرتهُ في مجلة آفاق الثقافة والتراث الإماراتية [3] برأ خلفا مما ألصِقَ به من تهمٍ زائفة .

تعريف بشخصية الشنفرى :

الشنفرى لقبٌ لأشهر شاعر صعلوك ، وهو من فتاك العرب وذؤبانِها ، وقد غلب لقبهُ على اسمه ، والشنفرى تعني عظيم الشفتين ،

---

[1] الأغانـــــي : 92/6 .

[2] المذاكرة في ألقاب الشعراء : 76 ؛ نزهة الألباء : 70 .

[3] مجلة أفاق الثقافة والتراث الإماراتية ؛ العدد 49 لسنة 2005م .

وقيل تعني الأسد أو الجمل الكثير الشَعر [4] ؛ فيما قال الجوهري [5] : (الشنفرى اسمهُ لا لقبه) ، وأما اسم الشنفرى ففيه خلاف ؛ فهو : عامر بن عمرو الأزْدي [6]، وشمس ابن مالك الأزْدي [7]وعمرو بن مالك الأزْدي [8] ، وثابت بن أوس الأزْدي [9]، ولكن اللافت للنظر ما قالهُ العيني من أنَّ اسمه هو [10] : (عمرو بن براق) وهذا وهمٌ منه والصواب أنَّ عمرو بن براق من الصعاليك المصاحبين له ، وكذلك حدث وهم في اسمه عند السيدين عبدالجبار تعبان ، وسليمان القرغولي حينما جمعا شعره وقالا : إنَّ اسمه هو [11] : (ثابت بن جابر) نقلا عن كتاب البرصان والعرجان ، وسبب الوهم أنَّ عبدالسلام محمد هارون محقق الكتاب ذكر ذلك ؛ والصحيح أنَّ هذا الاسم هو للشاعر الصعلوك تأبط شرا المصاحب له ، والشنفرى هو من بني الحارث ابن ربيعة بن الأواس بن الحجر بن الهنء بن الأزد بن الغوث بن نبت بن زيد بن كهلان بن سبأ [12]. فقد عاش

---

[4] شرح ديوان الحماسة للتبريزي : 52/2 ، أعجب العجب في شرح لامية العرب : 3.

[5] الصحاح : 71/2 ؛ خزانة الأدب : 16/2 .

[6] العمدة : 331/1 .

[7] أعجب العجب في شرح لامية العرب : 148 .

[8] الأعلام : 258/5 ؛ معجم الأدباء والمؤلفين : 11/8 – 12 .

[9] دائرة المعارف : 588 .

[10] المقاصد النحوية على هامش الخزانة : 117/2 .

[11] البرصان والعرجان : 256 (ينظر الهامش) ؛ معجم ألقاب الشعراء : 128 .

[12] الاشتقاق : 35 .

الشنفرى قبل الإسلام ، وهو من رآبيل العرب الذي كانوا يغزون على أرجلهم عدوا [13] والشنفرى كان أسودَ البشرة ، وهو من أغربة العرب ، وهم الذين لحق بهم السواد من طرف أمهاتهم اللواتي كُنَّ من الإماء[14].

ولامية العرب هي من غرر القصائد الجاهلية ، وكانت منتشرة على نطاق واسع ، على الرغم من أنَّ الشعراء الصعاليك كانوا منقطعين عن المجتمعات ، بعيدين عن المجالس والمحافل ، حيثُ تنشد القصائد ، وبعد ذلك يتداولها الرواة ، فتنتشر وتشيع بين الناس ، ومع ذلك لم يشكك أحدٌ من الرواة في نسبتها إلى الشنفرى ، وكانت الإشارة الأولى إلى نحلها هيَ في القرن الرابع الهجري ، وذلك بعدما بدأ العلماء الرواة بتدوين أشعار العرب ، وكان من ضمن ما دونوه أشعار الصعاليك ، قصائد الصعاليك هي من نمط خاص من الشعر يمتاز بالقِصَر؛ فضلا عن الألفاظ الوعرة والغريبة والوحشية ، ولما كانت لامية العرب قد آنمازت عن غيرها بطولها الذي بلغ السبعين بيتا [15]، وسلاسة أبياتها ووضوح معانيها ، ولذلك بدأت الآراء تتجاذبها بين رفض غير مسوغ ، وقبول غير مطمئن ، وسنقف على الآراء الرافضة لها والمؤيدة ، وحسب سياقها الزمني .

---

[13] التلخيص في معرفة أسماء الأشياء : 167/1 .

[14] المزهر : 269/2 ؛ الرآبيل : هم الصعاليك الذين يغزون ويعدون على أرجلهم ، فهؤلاء لم تلحقهم الخيل ، أعجب العجب في شرح لامية العرب : 4 .

[15] ديوانه : 66 – 90 .

أولا : بعد تدوين شعر الصعاليك وانتشاره بين الناس ، لم يقل أحد : إنَّ القصيدة منحولة ، ولكنَّ أول اشارة إلى أنـــَّها منحولة ، كانت في القرن الرابع الهجري ، فقد نصَّ على نحلها العالم الراوية أبو بكر بن دريد (ت321هـــ) ، حينما نقل عنه تلميذه أبوعلي القالي (ت 356هـــ) وذلك في معرض مدح القالي لخلف الأحمر ، وعلمه الغزير بالشعر ، وتمكنه منه وإعجابه به [16]، وليَ عدة ملاحظات على هذه الرواية تتمثل فيما يأتي :

1) أول من أطلق اسم لامية العرب على هذه القصيدة ، هو سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه ت 23هـــ) في قوله [17]: (علموا أولادكم لامية العرب ، فإنـــَّها تعلمهم مكارم الأخلاق) ، وأكد هذه التسمية (لامية العرب) كلٌّ من : أبو البركات عبدالله بن الحسين [18]، وسليمان بيك بن عبد الله بيك الشاوي [19] ، وأحمد بن مصطفى المعروف بطاش كُبري زادة [20] .

2) مخطوطة ديوان الشنفرى كتبها العالم الراوية ، أبو فيد مُؤرج بن عمرو السدوسي (ت 196هـــ) ، وصنع منها ديوان شعر الشنفرى ، وقصيدة لامية العرب من ضمن القصائد المخطوطة ، وبذلك تكون

---

[16] أمالي القالي : 156/1 ؛ طبقات النحويين واللغويين : 162 – 163 .

[17] الغيث المسجم في شرح لامية العرب : 27/1 .

[18] رشف الضرب من شرح لامية العرب :70 .

[19] سكب الأدب على لامية العرب : 89 .

[20] مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم :225/1 .

اللامية قيد التداول ويتناقلها الرواة منذ العصر الجاهلي إلى عصر التدوين ، وقد حقق الأستاذ الدكتور علي ناصر غالب الديوان المخطوط تحقيقا علميا ممتازا ، والقصيدة ضمن الديوان المحقق وتحت التسلسل السابع [21] وتبنتْ نشر ديوان الشنفرى ، دار اليمامة في الرياض ، في المملكة العربية السعودية سنة 1998م ، وتمتْ فهرستهُ في مكتبة الملك فهد الوطنية ؛ وقبل طباعته النهائية ، أُوكلتْ مهمة مراجعتهُ إلى الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع ؛ أستاذ الأدب العربي الجاهلي في كلية الآداب بجامعة الملك سعود ، وكتبَ مقدمتهُ الأولى شيخ المحققين المرحوم الأستاذ حمد الجاسر والذي أكد فيها ، ومن خلال دراساتهِ أنَّ اللامية للشنفرى وقد استشهد في المقدمة بعدة أبياتٍ منها ، فضلا عما سبق فقد نسبها العالم اللغوي والنحوي ابن جني إلى الشنفرى في روايةٍ مقروءةٍ على شيخه أبي علي الفارسي[22] ، ومعنى مقروءة ، أنـــَّها كانت مكتوبة ، ولو كانت شفوية لقالوا : أنشدها ، لأنَّ القراءة للرواية المكتوبة ، والإنشاد للرواية الشفوية ، وبذلك بطـــَلتْ بدعة انتحالها التي شاعت في القرن الرابع الهجري .

3) أما ما ذُكِرَ عن ابن دريد من أنَّ خلف الأحمر صنعها ، ثم نحلها للشنفرى ، فهذا أمرٌ غير منطقي ، وغير مقبول ، لأنَّ ابن دريد لم

---

[21] ديوانه : 66 .

[22] سر صناعة الإعراب : 46/1 ؛ المنصف : 15/3 ؛ ويلاحظ ديوانه المحقق : 32 .

يذكر ذلك ، والرواية مفتراة عليه ، وهي متجنية كاذبة ، فابن دريد كان ممن يجلون خلف الأحمر ، ويحترمون شخصه وعلمه وذلك على لسان أبي علي القالي نفسه ؛ فقد كان يقول ويكرر [23] : (كنتُ أنا كثير التعطف للأصمعي فكنتُ أسأل أبا بكر ابن دريد كثيرا عن خلف والأصمعي أيهما أعلم ؟ فيقول لي : خلف ، فلما أكثرت عليه انتهرني وقال : أين الثماد من البحور) الذي يقرأ النص بتمعن وتجرد ، يشعر أنّ أبا علي وعلى الرغم من معرفتهِ بأنَّ خلفَ الأحمر كان أعلمُ من الأصمعي (ت 216هـ) ، فإنـَّهُ كان يلحُ بإصرار على إعادة السؤال على شيخهِ أبي بكر ابن دريد ، لعله يسمع جوابا مخالفا للإجابات السابقة ، فيثبته ويسقط الإجابات الأخرى ، ولما كان ابن دريد يمتلك عقلية علمية فذة ، أحسَ بأنَّ القالي يريد تحريف الحقيقة ، فزجره وانتهره قائلا : إنّ علم خلف الأحمر ، غزير مثل البحر البعيد القرار ، فيما يكون علم الأصمعي ثمادا ، أي قليلا ضحلا قياسا إلى علم خلف الأحمر ، ومن هنا نفهم التحامل الذي يحملهُ أبو علي القالي على خلف الأحمر ، ولو على حساب تحريف الحقائق علما أنَّ أبا علي القالي لم يطعن بخلف الأحمر بشكل مباشر ولكنـَّهُ كان يتخفى وراء قناع وجعل مصدر روايته ابن دريد ، لعله يزيد التهمة قوة وقبولا عند الدارسين والباحثين ، وكان ابن دريد يدرك مرامي القالي ؛ لذلك كان يزجره وينهاه ، وأنا أرجح أنَّ القالي صنع هذه الرواية بعد وفاة ابن دريد إنْ صحت الرواية ولم تكن موضوعة على القالي .

---

[23] معجم الأدباء : 128/18 .

4) أبو علي القالي نفسه يدحض رواية النحل السابقة ، ويؤكد أنَّ اللامية هي للشنفرى رواية عن شيخهِ ابن دريد ، وذلك في كتابه النوادر [24] والذي كتبهُ بعد كتاب الأمالي ، ومن هنا أقول : إنَّ رأيَ أبي علي القالي المعول عليه هو الأخير ، وليس الأول – إذا صح الرأي الأول للقالي – وبذلك يكون خبر الأمالي موضوعا عليه ، علما أنَّ الأمالي هو من كتابة تلامذتهِ ، والنوادر كتبهُ القالي بخط يدِّهِ ، وما يُؤخذ من الرجل من فمهِ ، وبطريق مباشر أصدقُ مما يُؤخذ من غيرهِ ، وبطريق غير مباشر ، أو أنـــَّهُ حدثتْ صحوة ُضمير عند القالي في أواخر عـــُمرهِ ، فصحح ما أملاهُ سابقا ، فنسب اللامية للشنفرى ، ولم يقل صنعها خلف الأحمر .

5) هذا أبو المنذر سَلمة بن مُسلم العـــَوْتبي الصحاري ، وهو من علماء النسب وصاحب كتاب الأنساب ، ((وهو كتاب مخطوط لم يحقق بعد)) ؛ وقف عليه الدكتورعلى ناصر غالب خلال تحقيقه الديوان ، يؤكـــد صحة نسبة اللامية للشنفرى ، وذلك من خلال استشهاده بأثني عشر بيتا الأولى من القصيدة[25].

ثانيا – روى المرزباني (قال الأصمعي [26]: كنت بين يدي الرشيد في يومٍ قـــَرٍّ ، إذ دخل سُعيدُ بن سَلم ،

فقال : يا سُعيدُ أنشدني في البرد فأنشدهُ لمرة بن محكان السعدي :

---

[24] نوادر أبي علي القالي : 203 – 206 .

[25] مخطوطة كتاب الأنساب للصحاري .

[26] نور القبس المختصر من المقتبس : 134 .

وليلة مـــن جُمادى ذاتِ أنديَةٍ لا يُبصِرُ الكلبُ من ظَلمائها الطُنُبا
لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتـــى يلفَّ خَيشـــومهُ الذَّنبـــا

فقال أريد أبلغ من هذا فأنشدتهُ :

وليلةٍ قَرٍّ يصطلي القوسَ ربُّها وأقـــدُحهُ اللاتـــي بهـــا يتنبَّـــلُ

فقال : يا أصمعي حسبك ما بعد هذا شيء !)) .

الأصمعي في هذا النص لا ينسب البيت للشنفرى ؛ وهو من لامية العرب ، فالأصمعي وهو في حضرة الرشيد العباسي ، لا يريد أنْ تظهر روايتهُ محدودة ، فاتكأ على رواية خلف الأحمر ، ولكنهُ غيَّبَ اسم الشاعر والراوي خوفا من الرشيد ؛ لأنَّ راوي اللامية ممن يتعارضون عقائديا وسياسيا مع الدولة العباسية والمناهضين لهم ، فلا يسمح الرشيد ، ولا غيره من العباسيين لكائن من يكون ، ذكر أسماء من يعارضونهم وأشعارهم ، فضلا عن أنَّ الأصمعي نفسه كان يتقاطع مع الأحمر عقائديا ، لذلك فهو لا يروي شعره . ولما كان خلف الأحمر علوي الهوى ، فهو إذن من الذين لا يُسمح برواية أشعارهم ، ورواياتهم الإخبارية ، وهذا التقاطع العقائدي والسياسي كان سببا في تغييب اسم الشاعر وراويها .

ثالثا – هذه طائفة من كبار العلماء الرواة ، ممن نقلوا لنا أشعار العرب الجاهلية والإسلامية ودونوها في المجاميع والكتب المختلفة ، وهم جميعا يؤكدون صحة نسبة اللامية للشنفرى وهم كلٌ من :

1) ابن جني في المنصف ، والمحتسب ، (ت 293هـ) .
2) الشمشاطي في الأنوار ومحاسن الأشعار (ت 377هـ) .

3) أبو أحمد العسكري في المصون في الأدب (ت 385هـ) .
4) أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين (ت 395هـ) .
5) المرزوقي في شرحه ديوان الحماسة (ت 421هـ) .
6) الشريف المرتضى في أماليه (ت 436هـ) .
7) المعري في رسالة الغفران (ت 449هـ) .
8) العكبري في شرحه اللامية (ت 456هـ) .
9) أبو عُبيد البكري في معجم ما استعجم (ت 487هـ) .
10) القاضي التنوخي في القوافي (487هـ) .
11) التبريزي في شرحه ديوان الحماسة (ت 502هـ) .
12) الزمخشري في شرحه أعجب العجب في شرح لامية العرب (ت538هـ) .
13) ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (ت 542هـ) .
14) أسامة بن منقذ في المنازل والديار (ت 584هـ) .
15) صلاح الدين خليل بيك الصفدي في الغيث المسجم (ت 764هـ) .

ثم توالت الشروح والاستشهاد بها في كتب النحو والأدب منسوبة للشنفرى ، حتى العصر الحديث ، أقول بعد كلِّ هؤلاء العلماء الثقات ، هل يمكن لأحد أنْ ينسب اللامية لغير الشنفرى ؟ وهل كلُّ هؤلاء العلماء الرواة كانوا مغفلين حتى يقبلوا برواية قصيدة منحولة ويذيعوها بين الناس ، بالتأكيد لا يصح ذلك ، ولا يقبلون به ، فهي إذن من إبداع الشنفرى وليس خلف الأحمر .

رابعا : المستشرقون المؤيدون والمعارضون لصحة نسبة القصيدة للشنفرى : فمن المؤيدين لصحة نسبتها المستشرق الألماني جورج ياكوب الذي أسماها نشيد الصحراء ، وأيد ياكوب المستشرقان جايريللي ، بروكلمان [27] وغيرهما ، وأما المستشرقون الشاكون بصحة نسبتها للشنفرى ، فهو المستشرق الفرنسي بلاشير [28] ، المستشرقون المؤيدون هم من العلماء المنصفين ، أما الشاكون فهم من المتحاملين على الإسلام ولغته العربية ، وهدفهم الطعن في كل ما هو عربي إسلامي خدمة لمآربهم الضيقة ، فالمستشرق الألماني تيودور نولدكه – على سبيل التمثيل – الذي كتب بالألمانية تاريخ القرآن ، وحياة محمد ، ودراسات في شعر العرب القدماء ، قد أساء إلى القرآن الكريم وعدَّهُ من بنات أفكار الرسول محمد ، وكذلك أساء إلى رمز الإسلام وقدوة المسلمين النبي محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) لذا يجب التعامل مع أفكار نولدكه الهدامة بحذر شديد ، فالذي يطعن بالقران ويشكك بنزوله من الله ، وينتقص من شخصية الرسول ، ألا يطعن بالأدب ! فهو إذن ينفث سموم الحقد والكراهية في جسم الأدب العربي [29] أما المستشرق الفرنسي بلاشير فقد قال [30] :

---

[27] تاريخ الأدب العربي ؛ بروكلمان : 106/1 – 107 .

[28] دائرة المعارف الإسلامية : 395/13 – 396 ؛ تاريخ الأدب العربي ؛ بلاشير : 111/2 .

[29] الأعـــــلام : 79/2 .

[30] تاريخ الأدب العربي (بلاشير) : 1 / 130 .

((لا يسعنا إلا مشاطرة الدكتور طه حسين حكمه القاسي على هؤلاء المخبرين تاركين جانبا تملقهم وبراعتهم التطفلية) ، أراد بلاشير بالمخبرين العلماء من رواة الشعر العربي ، إذن بلاشير وباعترافه يتفق مع طه حسين بالتشكيك بنزاهة العلماء من رواة الشعر العربي ، وبذلك ينضم بلاشير إلى طه حسين في محاولاته البائسة لنسف التراث الأدبي للعرب وإنكاره ، ومحاولة استئصال جذوره ، وبلاشير جيءَ به لتحقيق ما عجز عن تحقيقهِ سلفه السيئ الصيت مارجليوث ، والعمل على بث الشك والريبة ، فضلا عن زعزعة ثقة القارئ العربي بتراثه العربي ، وذلك من أجل تمزيق وحدة المجتمع العربي الإسلامي ، فوجد نولدكه وبلاشير ضالتهما في لامية العرب فانضموا الى قائمة المشككين بصحتها .

فهل بعد مواقف المستشرقين من الإسلام والنبي العظيم ، والقران الكريم ، والتراث العربي ، نعولُ في أحكامنا على ما يقوله نولدكه وبلاشير ؟

خامسا : وعلى نسق المستشرقين نجد ثلاثة من أساتذة الأدب المعاصرين ، يرفضون صحة نسبة القصيدة للشنفرى وهم : السيد مصطفى صادق الرافعي في كتابه ((تاريخ آداب العرب)) [31] ، والدكتور محمد مهدي البصير في كتابه ((عصر القران)) والدكتور يوسف خليف في كتابه ((الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي)) [32] فقد سار هؤلاء الأساتذة

---

[31] تاريخ آداب العرب : 395/1 – 396 .

[32] عصر القرآن : 78 .

على خطى أسلافهم الرافضين لصحة نسبة القصيدة للشنفرى ، فالرافعي حكم على القصيدة بلا حجة وبلا دليل ؛ ونحن نقول له : البينة على من ادعى ، فما هي بينتك يا رافعي ؟ أما ما قاله الدكتور البصير من أنَّ [33] : ((القصيدة تسيءُ إلى سمعة العرب وتصفهم باللصوصية وقتل النساء وتيتيم الأطفال ...الخ)) ؛ فالسؤال هنا موجه للجميع ، ألم يكنْ العرب قبل الإسلام يعيشون في الظلمات ؟ وجاء الإسلام لينقلهم منها إلى النور ، ومن تلك الظلمات الصعلكة والفتك . أما قتل النساء ، ألم يكنْ العرب يئدون البنات ؟ وهو قتلها في مهادها ؛ ويقوموا بالغارات المتبادلة فيما بينهم ، وما يترتب عليها من قاتلٍ ومقتول ، وثأر وطلب للثأر ، وما ينجم عن ذلك من أيتام وأرامل ومعوقين ، فضلاً عن سبي النساء والأطفال ، وقتل المعارضين لهم من الرجال والنساء ، فهل بعد هذا كان المجتمع العربي قبل الإسلام مثاليا ؟ فإن كان كذلك ، فلِمَ بعث الله تعالى نبيه الكريم محمدا (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأما الدكتور يوسف خليف فعذره أنه درس الشعراء الصعاليك فاجتهد ورأى ، وهذا رأيه ، ونحن نحترم رأيه وإنْ كان مخطئا .

سادسا : بعد ذلك وجدنا عشرة باحثين محدثين يؤيدون صحة نسبة القصيدة للشنفرى وهم :

1) الدكتور محمد بديع شريف في تحقيقه كتاب ((لامية العرب أو نشيد الصحراء)) .

---

[33] الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي : 179 – 181 .

2) الدكتورعبدالمعين ملوحي في كتابه ((اللاميتان – لامية العرب ولامية العجم)).
3) الدكتور محمود العامودي في تحقيقه شرح ((لامية العرب للنقجواني)) .
4) الدكتوريوسف اليوسف في كتابه ((مقالات في الشعر الجاهلي)).
5) الدكتورمحمد خير الحلواني في تحقيقه ((شرح اللامية للعكبري)).
6) الدكتورعـــبداللطيف حمودي الطائي في كتابه ((إشكالية الرواية والرواة)) .
7) الدكتور علي ناصر غالب في تحقيقه ((ديوان الشنفرى)) .
8) الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع في مراجعته ((ديوان الشنفرى)) المحقق .
9) شيخ المحققين المرحوم حمد جاسر في كتابته لمقدمة ((ديوان الشنفرى المحقق)) .
10) الأستاذ عبدالعزيز ابراهيم في لامية العرب الذي رجح فيه نسبة اللامية إلى الشنفرى [34] .

فالمجموع يكون عشرة أساتذة محدثين مؤيدين ، وثلاثة رافضين بالنسبة للعرب . وأما المستشرقون فهم أكثر من ثلاثة يؤيدون صحة النسبة ، وإثنان فقط هما الرافضان ، والحكم لأصحاب الإنصاف والعدل ، هل الكثرة من العلماء القدامى والمحدثين فضلا عن المستشرقين على صواب ؟ وهل القلة القليلة صاحبة الرأي الضعيف والمتذبذب ، على صواب .

---

[34] لامية العرب – لعبدالعزيز إبراهيم : 23– 61 .

سابعا : وأما ما توصلت إليه بعض الدراسات من استنتاجات من أنَّ كثيرا من ألفاظها إسلامية[35] ولا يمكن الاطمئنان إليها وقبولها ، لأنَّ ما يـُبنى على خطأ ، تكون نتائجه بالمحصلة النهائية غير صحيحة ، وسأفند مثالا واحدا من هذه الاستنتاجات ليطلع القارئ الكريم على تحميل النصوص فوق طاقتها ، ولـَيْ عنق الحقيقة لصالح غرض معين ! والمثال هو [36] :

وفي الأرضِ منأىً للكريمِ عن الأذى وفيها لمن خافَ القِلى متغزَّلُ

علق الباحث على البيت قائلا : فيها معنى قوله تعالى في المستضعفين[37]: { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } وقوله تعالى [38]{ وضاقت عليكم الأرض بما رحبت } .

تعليق الباحث لا ينسجم مع الشاهد ، بل يدخل ضمن تناص الشعر الجاهلي مع القرآن الكريم [39]، وذلك لأنَّ العرب لم يكونوا وثنيين بالمعنى المطلق ، فهم يعرفون الله والأنبياء والرسل ، والديانات السابقة لهم مثل الحنيفية واليهودية والنصرانية ، والشعر الجاهلي حافل بالكثير من هذه الشواهد ، وسأورد مثالا واحدا على ذلك هو قول الشاعر حاتِم الطائي[40] :

أمَا وَالذي لا يعلم الغيبَ غيرُهُ ويُحيي العظامَ البيضَ وَهِيَ رَميمُ

---

[35] لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر : 13 .

[36] ديوانـــــــه : 67 .

[37] سورة النساء ؛ الآية : 97 .

[38] سورة التوبة ؛ الآية : 25 .

[39] تناص الشعر الجاهلي مع القران الكريم ؛ بحث ألقيتـُهُ في المؤتمر العلمي لكلية الآداب – جامعة تكريت لسنة 2011م .

[40] ديوان حاتم الطائي : 184 .

عندما ندقق النظر في قول حاتِم الطائي ، سيتأكد لنا بما لا يقبل الشك أنَّ الرجلَ لم يكنْ مشركا ، ولا وثنيا ، بل كان من الموحدين الأحناف الذين يؤمنون بالله وحده لا شريك له ، والأحنافُ هم بقايا دين نبي الله إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وهم يؤمنون بأنـــَّهُ لا يعلم الغيبَ إلا الله وحده ، وأنـــَّهُ هو وحدهُ يُحيي ويُميت ، شأنهم في ذلك شأنُ أصحابُ الديانات السماوية الأخرى ، والقرآن الكريم أكدَ هذا في علم الغيب مع ما قاله حاتِم الطائي ، وصدَّقهُ في قوله تعالى [41] : { عالمُ الغيْبِ فلا يُظهِرُ على غيبهِ أحدا } ، ولكن اللافت للنظر هو الشطر الثاني من قول حاتِم الطائي يتطابق مع القرآن الكريم ، ففيه الآية : {... قالَ منْ يُحيي العظامَ وهيَ رَميمٌ }[42] ، وذلك التطابق المطلق يؤكد أنَّ العربَ يعرفون الديانات السماوية ويؤمنُ بها كثيرٌ منهم ، وحاتِم نفسهُ يقسمُ باللهِ قسما جازِما، وكأنـــَّهُ مسلمٌ ، سمِعَ القرآنَ الكريم ، وآمنَ به ، علما أنَّ حاتِما الطائي مات قبل الإسلام بأكثر من سبعين عاما تقريبا . وهذا زُهير بن أبي سلمى شاعرُ الحكمةِ والسلام ، وهو الآخر لم يدرك الإسلام ، لكنه يؤكد صحة ما قالهُ حاتِم الطائي ، ويؤمن به ، وذلك بعدَ ما مرَّ على شجرةِ عِضاةٍ مُخضرةٍ ، وكان قد رآها قبل ذلك يابسةً ، فخاطبها قائلا [43] : (لولا أنْ تسُبني العربُ ، لآمنتُ أنَّ الذي أحياكِ بعدَ يَبْسٍ ، سَيُحْيي العظامَ وهيَ رميمٌ) ، والسين التي جاءت في ((سيُحْيي)) هي لما يُستقبل من الزمان ،

---

[41] سورة الجن : الآية 26 .

[42] سورة يس : الآية 78 .

[43] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : 277/2 .

سواءا كان قريبا أم بعيدا ، ومنها نفهم أنَّ زُهيرَ بن أبي سلمى يؤمنُ بالبعثِ والنشور ، وإحياء الموتى ، والحساب ، ومصداق ذلك قوله [44] :

يُؤخرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدخرْ ليومِ الحسابِ أوْ يُعجلْ فينقمِ

وبذلك وجدنا حاتِما الطائي ، ومن بعده زُهير بن أبي سلمى يؤمنان بأنَّ الله سبحانه وتعالى ، يُحيي الموتى يوم الحساب ، وقد أكد زُهير هذه الرؤية مرة أخرى في قوله مخاطبا بنيه [45]: (لولا أنْ تفندون ؛ لسجدتُ للذي يُحيي الأرضَ بعد موتِها) .

الخلاصة :

من خلال ما تقدم في هذا البحث ، أقول بثقة مطلقة ، وأنا مطمئن إلى صحة ما توصلت إليه ، من إنَّ القصيدة ((لامية العرب)) هي من إبداع الشاعر الصعلوك الشنفرى ، وأنَّ خلفا الأحمر بريءٌ من نحلها براءة الذئب من دم يوسف ابن يعقوب (υ) وعلى الباحثين والدارسين أنْ يأخذوها ويتناقلوها وهم مطمئنون إلى صحتها ، وأنـــَّها قصيدة جاهلية لا غبار عليها ، وأخيرا أقول : إنْ أصبتُ في مسعاي فبفضلٍ من الله وتوفيقه ، وإنْ جانبت الصواب فذلك من تلقاء نفسي ، وحسبي أنـــَّي اجتهدت ، ولكل مجتهدٍ نصيبٍ ، والحمدُ لله أولا وآخرا ، وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

---

[44] شعره : 18 .

[45] جمهرة أشعار العرب : 1 / 70 .

المصـــادر :ـــ

- القرآن الكريم .
- الإشتقاق – لابن دريد الأزدي (ت 321هـــ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، د0ت.
- الأعـــلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العـــرب والمستعربيـــن والمستشرقيـــن ـــ خيـــر الدين الزركلي ، ط 3 ، 1389هـــ – 1969م .
- الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني (356هـــ) ؛ مصورة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العـــربية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر، القاهرة .
- البرصان والعرجان والعميان والحولان – الجاحظ (ت 255هـــ) ؛ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ؛ مؤسسة الخانجي ؛ القاهرة ؛ ط 3 ؛ (د . ت) .
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب – محمود شكري الآلوسي (ت1270هـــ) ؛ شرح وتصحيح محمد بهجة الأثري ؛ ط 3 ؛ (د . ت ؛ د . م) .
- تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي ؛ دار الكتاب العربي ؛ بيروت ؛ ط4 ؛ 1394هـــ – 1974م .
- تاريخ الأدب العربي ؛ كارل ؛ بروكلمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ؛ دار المعارف بمصر ؛ ط2 ؛ 1968م .

- تاريخ الأدب العربي – الدكتور ريجيس بلاشير ، تعريب الدكتور ابراهيم الكيلاني ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د0ت .
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء – أبو هلال العسكري الحسن بن عبدالله ابن سهل (ت395هـ) ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، 1969م .
- تناص الشعر الجاهلي مع القران الكريم : بحثٌ ألقيتهُ في المؤتمر العلمي لكلية الآداب – جامعة تكريت لسنة 2011م ؛ وسينشر ضمن بحوث المؤتمر إنْ شاء الله .
- جمهرة أشعار العرب – لأبي زيد القرشي ؛ شرحه وقدم له علي فاعور ؛ ط1؛ دار الكتب العلمية ؛ 1986م ؛ بيروت .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – عبدالقادر البغدادي (ت1093هـ) ؛ تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون ؛ مكتبة الخانجي ؛ القاهرة ؛ ط3 ؛ 1409هـ – 1989م .
- دائرة المعارف الإسلامية : مجموعة من المستشرقين ؛ ترجمة إبراهيم زكي ؛ أحمد الشناوي ؛ الدكتور عبدالحميد يونس ؛ مكتبة دار الشعب ؛ القاهرة ؛ (د .ت).
- ديوان شعر حاتم بن عبدالله الطائي وأخباره – صنعة صالح بن مدرك الطائي ، رواية هشام بن محمد الكلبي (ت 204هـ) ، دراسة وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د 0ت .

- ديوان الشنفرى الأزدي – برواية أبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي (ت196هـ) ، تحقيق الدكتور علي ناصر غالب ، نشرته مجلة العرب السعودية ، ط 1 ، 1998م ، الرياض 0
- رشف الضرب من شرح لامية العرب – أبو البركات عبدالله بن الحسين بن مرعي المعروف بالسويدي (ت 1174هـ) ، دراسة وتحقيق عصام عكلة عبدالقهار الكبيسي ، وهي رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية – جامعة الأنبار ، 1422هـ – 2001م .
- سر صناعة الإعراب – ابن جني (ت 392هـ) ؛ تحقيق مصطفى السقا وزملاءه ؛ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ؛ 1954م ؛ القاهرة .
- سكب الأدب على لامية العرب – سليمان بيك بن عبدالله بيك الشاوي (ت1209هـ) ، دراسة وتحقيق مهند مجيد برع العبيدي ، وهي رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية التربية – جامعة تكريت ، 1426هـ – 2005م .
- شعر زهير بن أبي سلمى – صنعة الأعلم الشنتمري (ت 476هـ) ؛ تحقيق الدكتور فخرالدين قباوة ؛ منشورت دار الآفاق الجديدة ؛ ط 3 ؛ 1400هـ – 1980م ؛ بيروت .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي – الدكتوريوسف خليف ؛ ط 2 ؛ دار المعارف بمصر ؛ (د . ت) .
- الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية – إسماعيل بن حمّاد الجوهري ؛ تحقيق احمد عبدالغفور عطار ؛ ط2 ؛ 1399هـ – 1979م ؛ بيروت .

- طبقات النحويين واللغويين – الزبيدي (ت 379هـ) ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ دار المعارف ؛ القاهرة ؛ ط 2 ؛ 1984م .
- عصر القرآن – الدكتورمحمد مهدي البصير ؛ مطبعة العاني ؛ ط 2 ؛ بغداد ؛ (د . ت).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) ؛ تحقيق محمد محيي الدين ؛ دار الجيل ؛ بيروت ؛ ط 4 ؛ 1972م .
- الغيث المسجم في شرح لامية العرب – صلاح الدين خليل بيك الصفدي (ت764هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1975م ، بيروت .
- كتاب أعجب العجب في شرح لامية العرب – لفخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ) ، ط 3 ، طبعت على نفقة محمود أحمد ، بنظارة الأشغال بمصر ، 1324هـ .
- لامية العرب بين الشنفرى وخلف الأحمر ، دراسة بين الأصيل والمنحول من الشعر الجاهلي – الدكتورباسم ادريس قاسم ؛ منشور في مجلة التربية والعلم (مجلة كلية التربية – جامعة الموصل) المجلد 18 العدد الأول لسنة 2011م.
- مجلة آفاق الثقافة والتراث – دولة الإمارات العربية ؛ العدد 49 لسنة 2005م .
- مختارات أشعار العـــرب – ابن الشجري (ت 542هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

- مخطوطة كتاب الأنساب – لأبي المنذر سلمة بن مسلم العَوْتبي الصحاري ؛ وهي مخطوطة دار الكتب المصرية تحت الرقم 1642 تاريخ ؛ نقلا عن ديوان الشنفرى تحقيق الدكتور علي ناصر غالب .
- المذاكرة في ألقاب الشعراء – أبو المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني الأربلي ، المعروف بمجد الدين النشابي الكاتب ، تحقيق شاكر العاشور ، دار الشؤون الثقافية ، ط 1 ، 1988م بغداد 0
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها – السيوطي (ت 911هـ) ؛ شرح وتعليق محمد جاد المولى ؛ محمد أبو الفضل إبراهيم ؛ علي محمد البجاوي ؛ المكتبة العصرية ؛ صيدا ؛ بيروت ؛ 1408هـ – 1987م .
- معجم الأدباء والمؤلفين – لياقوت الحموي (ت 626هـ) ، دار الفكر ، ط3 ، 1980م ، القاهرة0
- معجم ألقاب الشعراء – الدكتور سامي مكي العاني ؛ 1971م ؛ النجف .
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم – أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كُبري زادة ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ،1981م ، بيروت .
- المقاصد النحوية في شرح شواهد الألفية ــ الإمام العـــيني (ت 855هـ) ، وهو كتاب عـــلى هامش خزانة الأدب ولب لباب لسان العـــرب ، لعـــبد القادر البغـــدادي ، ط1 ، 1299هـ ، بولاق0

- المنصف – ابن جني(ت392هـ) تحقيق ابراهيم مصطفى ؛ عبدالله أمين ؛ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ؛ القاهرة ؛ ط 1 ؛ 1373هـ – 1954م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ــ أبو البركات الأنباري (ت 577هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، (د0ت)
- النوادر– لأبي علي القالي (ت356هـ) ؛ ط2 ، بيروت ، 1987م 0
- نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء للمرزباني (ت384هـ) – الحافظ اليغموري ؛ تحقيق رودلف زلهايم ؛ دار فرانتس شتاينر ؛ المانيا ؛ 1384هـ – 1964م .